

مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

ISSN : 2352-9849 EISSN : 2602-6929

المجلد 19 العدد 01/ جوان 2024



التنمية والمجتمع: مع علي الكنز في مركب الحجار

Development and Society: With Ali El Kenz at the El Hadjar Complex

سبعون سعيد¹

جامعة لونيبي علي البلدية²، الجزائر

تاريخ التقييم: 2024/05/02

تاريخ الإرسال: 2024/03/26

تاريخ القبول: 2024/06/01

Abstract:

المخلص:

The El Hadjar Complex is closely linked, for students and professors who pursued their studies and teaching in the field of Industrial Sociology (until the academic year 1990-1991) and the Sociology of Work and Organizations since 1991-1992 — particularly the course on the Sociology of the Algerian Enterprise — to the doctoral thesis defended by the deceased Ali El Kenz (1946-2020) in 1983 at a French university.

This thesis continues to attract the interest of students, teachers, and researchers in the field of sociology in Algeria. Through

يرتبط مركب الحجار بالنسبة إلى الطلبة والأساتذة الذين زاولوا دراساتهم وتدريسهم في تخصص علم اجتماع الصناعي (إلى غاية سنة 1990 - 1991) وعلم الاجتماع العمل والتنظيم منذ 1991 - 1992، سيما مقرر سوسولوجية المؤسسة الجزائرية، برسالة الدكتوراه التي ناقشها الراحل علي الكنز (1946 - 2020) سنة 1983 بإحدى الجامعات الفرنسية. هذه الرسالة التي لا تزال تلقى الاهتمام من طرف الدارسين والمدرسين والباحثين في حقل علم الاجتماع في الجزائر. وسنسعى من خلال هذه الورقة البحثية - إلى العودة إلى هذا البحث الهام الذي تجاوز من خلاله الكنز دراسة فضاء الحجار في حد ذاته ليتوقف عند جوانب هامة من واقع المجتمع الجزائري في تلك الفترة الهامة من تطوره التاريخي. وكما سنرى، فإن الملاحظات والنتائج التي توصل إليها علي الكنز عن طبيعة العلاقات الاجتماعية ليس فقط في مركب الحجار، بل في بنية المجتمع

¹ s.sebaoun@univ-blida2.dz، جامعة لونيبي علي البلدية²

this presentation — as a tribute — we seek to return to this important research, in which Ali El Kenz went beyond studying the El Hadjar space in and of itself to address significant aspects of Algerian society during that crucial period of its historical development.

As we shall see, the observations and findings reached by Ali El Kenz regarding the nature of social relations — not only within the El Hadjar Complex but also in the structure of Algerian society as a whole more than four decades ago — are still being reproduced, to a large extent, in many social representations and practices in contemporary Algerian society.

Hence the importance of returning to the analysis formulated by Ali El Kenz at that time, in the hope that it may provide us with some keys to open new interpretive horizons for the current sociological situation of Algerian society.

Keywords: Development, Rational Management, Social Modernization, Industrialization, Social Values, Social Progress.

الجزائري بكامله منذ أكثر من أربعة عقود مضت يتم إعادة إنتاجها، إلى حد كبير، في العديد من التمثيلات والممارسات الاجتماعية في المجتمع الجزائري الحالي. ومن هنا تأتي أهمية العودة إلى التحليل الذي صاغه علي الكنز آنذاك لعلنا نجد بذلك بعض المفاتيح لفتح آفاق تفسيرية للوضع السوسيولوجي الراهن للمجتمع الجزائري.

الكلمات المفتاحية: تنمية، تسيير عقلائي، عصنة اجتماعية، تصنيع، قيم اجتماعية، تقدم اجتماعي

1. مقدمة:

عندما بدأنا مشوارنا الدراسي الجامعي في علم الاجتماع، في نهاية الثمانينيات، بجامعة بوزريعة بالجزائر، سنة 1988-1989، كنا نجهل كل شيء عن هذا الفرع الجامعي، بل أكثر من

ذلك كانت لنا نحوه مخاوف وهواجس، انطلاقاً من عدم وضوح رؤيتنا بخصوص آفاقه المستقبلية، سيما الاندماج في سوق العمل. فكل شيء كان ضبابياً وغير واضح أمامنا، وكان علينا أن نقبل يوم بعد يوم بتوجيهنا نحو هذا الفرع المعرفي وبدأنا نقبل بالوضع ونضع شيئاً فشيئاً حداً لامتعاضنا - صحيح أن الأمر لم يكن يتعلق بجميع طلبة الدفعة - لكن هامش الخيار لم يكن كبيراً بالنسبة إلينا من أجل المغادرة والتوجه نحو آفاق تكوينية كنا نعتقد أنها ستوفر لنا فرص مسارات مهنية مثمّة أكثر في المستقبل. بدأت الفئات تتربّس عند البعض منا بأن التكوين الجامعي في علم الاجتماع قد لا يكون مضيعة للوقت - مثلاً كان يردده على مسامعنا العديد من معارفنا - وأنه يمكن أن يكون ذات أهمية ما وسيمنحنا فرص الالتحاق بسوق العمل عندما نتمكّ شهادات التخرج. كيف حدث هذا الوعي بالنسبة إلينا؟ باختصار شديد، كان لأحداث 5 أكتوبر 1988 - سنة 1988 هي السنة التي التحقنا فيها لمزاولة دراستنا الجامعية في فرع علم الاجتماع - أثر كبير في تغيير اتجاه بوصلة اهتمام العديد منا بعلم الاجتماع وبروز بوادر الاقتناع به وتبنيه إلى حد الدفاع عنه أمام أولئك الذين يسعون إلى الحط من قيمته في ظل إقامتهم لنوع من التراتبية أو السلم الهرمي حيث يتم وضعه دائماً في أسفل سلم التقدير الأكاديمي. في حركية الوعي هذه كان لعدد من الأساتذة الذين كانوا يشرفون على تدريسنا، وأساساً - وهذا شيء مهم - فتح صفحات الجرائد الحكومية، على الرغم من عددها المحدود جداً، للتعبير بأصوات أو بأقلام غير تلك التي كانت تعيد إنتاج خطاب السلطة السياسية في تلك المرحلة. انطلاقاً من هذا الوضع الذي يمكن اعتباره جديداً بالنظر إلى خصوصيات هذه المرحلة، بدأنا نعرف على بعض الأساتذة الباحثين في علم الاجتماع ونقرأ مقالاتهم أو استجواباتهم ومقالاتهم في أعمدة الصحف الوطنية آنذاك، سيما أسبوعية "الجزائر حث" *Algérie Actualité* التي كانت تمنح إمكانية التعبير للفاعلين في علم الاجتماع من أساتذة باحثين، خاصة بعد أحداث 5 أكتوبر 1988. فعلى سبيل المثال، كان اهتمامنا كبيراً بإحدى الموائد المستديرة التي نظمتها هذه الأسبوعية والتي نشطها ثلاثة أساتذة باحثين مرموقين في علم الاجتماع وهم : نذير معروف، بن عمر مدين و الهواري عدي (Cf. "Table ronde, 1989, p. 11-15")

هذا الاهتمام بعلم الاجتماع في محاولة تفسير واقع المجتمع الجزائري آنذاك سمح لهذا التخصص بالحصول على نوع من الوضوح الإعلامي وبالتالي المجتمعي إلى حد ما، وهذا الأمر عزز من قناعتنا في منح مزيد من الاهتمام والاعتبار له، وذلك من خلال البحث عن الإسهامات التي ستساعدنا في فهم ما الذي كان يمر به المجتمع الجزائري من تحولات في تلك المرحلة الهامة من تاريخ الجزائر (نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات). وفي سعيينا هذا للتعرف على هذه الإسهامات، التي لم تكن عديدة وواسعة والقلة التي كانت متوفرة لم تعرف انتشاراً ووضوحاً كبيرين، لأن الإشهار لها والتشهير بها كانا ضعيفين مقارنة بما هو عليه الأمر اليوم. تعرفنا على مؤلف علي الكنز تحت عنوان : حول الأزمة. 5 دراسات عن الجزائر والعالم العربي الذي صدر في أول طبعة له باللغة الفرنسية، لكننا لم نكن نعرف الأستاذ علي الكنز كثيراً في الفضاء الأكاديمي بجامعة بوزريعة، كونه لم يكن يدرس، على الأقل في الفترة التي كنت مسجلاً فيها في طور التدرج (1988-1992)، في هذا الطور. وكنا نعرف بعض الطلبة، خاصة في الماجستير، الذين كان يشرف على رسائلهم، وكنا نعددهم من المحظوظين! أيضاً، ضمن اهتمامنا بكتابات علي الكنز ومتابعاتها، كان هناك الحوار الذي خص به أسبوعية الجزائر حث، بعد صدور مؤلفه حول الأزمة. (Ali El Kenz, 1989, p. 38-40)

وكانت أول مرة سمعت فيها وعرفت ان علي الكنز قام ببحث هام حول مركب الحجار كان خلال السنة الجامعية 1990-1991 وأنا طالب في تخصص علم الاجتماع الصناعي عندما طلب منا الأستاذ ناصر جابي تقديم عرض حول إشارات صناعات الحديد والصلب وهو بحث كان قد أجراه كل من علي الكنز، سعيد شيخي وجمال غريد. (El Kenz Ali, 1982)

لم يتوقف اهتمامي بأعمال علي الكنز عند هذا، بل تواصلت، سيما بعدما سجلت معه للإشراف على رسالة الماجستير في 1992-1993 قبل أن يغادر الجزائر في صيف 1993 إلى تونس، وكان عنوان الرسالة : السوسيولوجيا الأكاديمية والمشروع التنموي في جانبه التصنيعي. كنت أسعى من خلال هذا البحث الأكاديمي إلى معرفة كيفية تطرق البحث في علم الاجتماع الأكاديمي الذي يتقدم في شكل رسائل جامعية أساسا إلى التجربة التصنيعية، مما قادني إلى الاهتمام برسالة دكتوراه علي الكنز التي كنت اعتبرها بمثابة عينة ملائمة بامتياز لقراءة التجربة التنموية في جانبها التصنيعي من زاوية علم الاجتماع علي الكنز . فما الذي توصل إليه تحليل واقع مركب الحجار منذ أكثر من أربعين سنة خلت ؟

2. مركب الحجار في الثمانينيات : عندما يهيكل الثقافي الاجتماعي عملية التصنيع

إن المساهمة الكبيرة والأساسية التي جاءت بها رسالة الدكتوراه للراحل علي الكنز هو توقفها عند العلاقة بين التصنيع والمجتمع. نذكر فقط أن أطروحة الدكتوراه هذه جاءت في ثلاثة أجزاء، ضمت 760 صفحة (الملاحق وقائمة المراجع مدمجة في 22 صفحة)، وقدمت هذه الأطروحة للمناقشة في جامعة باريس VIII في 1983، تحت إشراف الأستاذ بيار فيليب ري. يتألف الجزء الأول من 255 صفحة، ويعرض فيه علي الكنز أهم المراحل التاريخية التي مر بها بناء الحجار، بداية من المرحلة الاستعمارية، ثم مرحلة الاستقلال. ويؤكد الباحث أن لكل مرحلة خصائصها ومميزاتها وتأثيراتها في تسيير هذا المركب (El Kenz Ali, 1983)

أما بالنسبة إلى الجزء الثاني الذي تضمن 220 صفحة، فقد تطرق فيه الباحث إلى الظروف الاجتماعية للعمل وكيفيات إعادة إنتاج قوة العمل، وكيف يلعب نسق الأجور دورا بارزا في هيكلة بنية التمثلات و الممارسات الاجتماعية لدى مختلف الفاعلين بمركب الحجار (El Kenz Ali, 1983)

في حين خصص علي الكنز الجزء الثالث الذي ضم 256 صفحة. (El Kenz Ali, 1983) إلى عملية العمل ومدى ارتباطها بالأنساق التنظيمية للتكنولوجيا المستوردة، وكيف كانت لهذه التكنولوجيا المستوردة من فضاءات اجتماعية ثقافية عواقب اجتماعية واقتصادية تجعلها في تناقض وتباعد مع ما كان مرجوا ومأمولا على مستوى الخطاب السياسي الرسمي الذي دافع ورافع عن الاختيار التصنيعي في مرحلة السبعينيات أساسا.

في هذه الأجزاء الثلاثة، سعى الكنز إلى تبيان الجوانب السوسيولوجية التي تحملها عملية التصنيع، ومعنى ذلك أن عملية التصنيع ليست عملية تقنية تتمثل في مجرد تشغيل آلات أو ضغط على أزرار وبرمجة أنظمة إعلام آلية ليسير كل شيء على أكمل وجه وتحقق سعادة الإطار والعامل المنفذ ومنه رفاهية المجتمع ! على العكس من ذلك، فإن المساهمة التي جاء بها الكنز في هذه الأطروحة تبين مما لا يدع مجال للشك أن التصنيع هو عملية اجتماعية يحملها واقع سوسيولوجي وممارسات وأشكال وعي وتمثلات اجتماعية ولا تختزل البتة في البعد التكنولوجي الذي يرفق دائما بعلازمات إيجابية في الخطاب العامي.

منذ الصفحات الأولى للرسالة، يعطينا الكنز الإيقاع حول التمثل الذي كان يحيط بالممارسة البحثية في علم الاجتماع آنذاك، والتي يمكن القول إنها تواصلت وبعاد إنتاجها إلى اليوم، وهذا مانقله الباحث من خلال الموقف الذي تحلى به المسؤول الذي كان من المفروض

أن يستقبل علي الكنز في بداية الأمر من أجل الاتفاق على الترتيبات التي سيتم وضعها من الطرفين - إدارة مركب الحجار والباحث - من أجل سير البحث في أفضل الظروف وأحسن الأحوال، حيث عبر هذا المسؤول عن نقذه اللاذع والمتهب للمقر*
*المقر الرئيسي للشركة الوطنية للحديد والصلب(SNS) ، المتواجد بالجزائر العاصمة في تلك الفترة.

الذي يرسل إليه باحثين في علم الاجتماع، من أجل " التفلسف " و " التفكير"، كأن الوقت متوفر للتفكير هنا"... مثل هذا الموقف يؤكد بيار بورديو(1930-2002) الذي كان يعتبر ان علم الاجتماع علم مزعج " لأنه يكشف عن أشياء مخفية وأحيانا مكبوتة". (Bourdieu Pierre, 1984, p. 20).

3. التحليل السوسيولوجي لعملية التصنيع : التناقض بين العصرية المأمولة والواقع الاجتماعي الثقافي

كيف حاول علي الكنز أن " يزعج " ويكشف المخفي أو المكبوت (الاجتماعي الثقافي بطبيعة الحال وليس المستويات النفسية) من خلال بحثه الأكاديمي في مركب الحجار ؟
يمكن القول إن " الإزعاج " بدأ من خلال ولع علي الكنز وشغفه بالبحث السوسيولوجي الميداني، وهذا ما يصرح به عن ميوله و نزوعه نحو البحوث الميدانية في علم الاجتماع : " عدت إلى وظائف في جامعة الجزائر حيث تم تدريس الفلسفة بالكامل ولم يعد لدي إحساس انني سأكون قادرا على إلقاء درس لمدة ساعتين بالعربية، مما جعلني أتحوّل إلى علم الاجتماع وأنخصص في علم اجتماع العمل، وهو التخصص الأقرب إلى التكوين الذي حصلت عليه من قبل. لقد أعدت قراءة الكتاب الأول من الرأسمال ك " سوسيولوجي " هذه المرة انطلاقا من فريدمان، نافيل، توران، وتناسيت لفترة معينة مرجعياتي الفلسفية... لكن، التعليم لم يكن كافيا بالنسبة إلي، كنت في حاجة إلى إجراء بحوث، كنت بدأت، في إحدى مراكز التوثيق بالقاهرة، بجمع أدبيات من الاقتصاد بغية كتابة مؤلف حول التنمية في الجزائر وقررت الاستمرار في جمع هذه الأدبيات هنا في الجزائر، لكن كنت أرغب في الحركة والعمل في الميدان، " واجب التقصي " ذاك الذي يعطي لعلم الاجتماع خصوصيته مقارنة بالفلسفة... لقد اكتشفت القيمة التي لا تقدر بثمن للبحث الميداني وتنوعاته اللامتناهية لكنه يحمل دلالات كبيرة عن وضعيات العمل المتنوعة... في الواقع كنت أتعلم، من دون أن أدري ذلك، مهنة عالم الاجتماع " . (El Kenz Ali, 2009, p. 59-60).

مهنة عالم الاجتماع هذه التي ندب علي الكنز نفسه لخدمتها ودأب عليها منذ انتقاله إلى علم الاجتماع ساعفه الحظ لينفذ إليها من الباب الواسع، هذا الباب المفتوح الذي سيكرس علي الكنز كواحد من أبرز الباحثين في علم الاجتماع العمل والتنمية في الجزائر، بل في العالم العربي وأفريقيا، وهذا بذلك البحث الذي انطلق ب " طلبية" من إحدى الشركات الوطنية البارزة في جزائر السبعينيات وبداية الثمانينيات، ويتعلق الأمر بالشركة الوطنية للحديد والصلب. وهذا ما يشير إليه علي الكنز : " لكنني كنت أحن إلى الميدان، ومرة أخرى يأتي الحظ لنجديتي. لقد طلبت منا واحدة من أكبر المؤسسات الصناعية في البلاد وهي الشركة الوطنية للحديد والصلب للقيام بنقص حول الإطارات. وقد قمنا بذلك مع اثنين من الزملاء الباحثين في علم الاجتماع وهما جمال غريد وصديقي سعيد شيخي. وأفضى هذا التقصي إلى تحرير تقرير الذي أظهر بشأته الإطارات تنوعا في المواقف، لكنه فتح أمامي ابواب هذه المؤسسة لاحقا... لقد اقتحمت أيضا حقلا جديدا، ألا وهو حقل علم اجتماع الصناعة والتنظيمات، لكن من منظور علم اجتماع التنمية الذي كانت تغذيه قراءاتي لمؤلفات سمير أمين، غندر فرنك، جيوفاني أريغي،

إيمانويل فالرشتاين، مورييس غودوليبي، كلود مباسو، إيمانويل تيري، الخ. .. لقد أخذتني بصفة نهائية أجواء المؤسسة. و مكتسبا لتلك القوة من ألفتي الجديدة بالميدان الصناعي الجزائري، قررت أن أسجل في اطروحة الدكتوراه. وبما أنني كنت اعرف بيار فيليب ري الذي قدم مشورات لوزارة التخطيط بالجزائر العاصمة، اقترحت عليه أن أسجل معه. وتم تحديد موضوع الدراسة في وقت لاحق تحت عنوان : مونوغرافيا المركب الصناعي للحجار. وبما أن الحظ كان دائما إلى جانبي فإن هذه المؤسسة المكونة من 20 ألف عامل كانت حاملة لمشعل الصناعة الجزائرية وحتى العربية، وتقريبا بمثابة نموذج مثالي، تمثل إيديولوجية التنمية التي كنت من المتبنين لها... لقد سمح لي مسيرو الحجار الذين اعجبهم التقرير الأول (وهذا أمر استثنائي) بإجراء التقصي بهذا المركب... واستمر هذا التقصي مدة اربع سنوات، حيث أمضيت سنة كاملة في ورشات المركب، سيما القرن العالي وورشة الفولاذ التي تشتغل بالأكسجين. لقد قمت باكتشافات وكانت لي لقاءات لا تقدر بثمن ". (Ibid., p. 63-64).

وعلى الرغم من أهمية اللقاءات - الإنسانية أساسا - التي يمكن أن تكون للباحث، ويسمح له سياق البحث وظروفه بالقيام بها لأنها تلعب دورا أساسيا في إمكانية أن تكون مصدر إلهام ومعلومات وتوجيهات لا يمكن أن يستغني عنها الممتحن للبحث السوسيولوجي، فإن الجانب المتعلق بالاكتشافات هو في مركز ثقل البحث العلمي. ومتشعبا بهذه القناة الاستيمولوجية، سعى علي الكنز إلى إظهار الواقع الفعلي لكيفية سير مركب الحجار، هذا الواقع الوظيفي للحجار ما هو إلا امتداد لواقع أوسع منه، ألا وهو الواقع الاجتماعي للمجتمع الجزائري في تلك اللحظة التاريخية من إجراء هذا البحث، وبذلك نكتشف مع الكنز أن مركب الحجار هو فضاء انتقلت إليه العديد من مظاهر الممارسات الاجتماعية التي تلقي بتأثيراتها على البنية التنظيمية للحجار. يمكن أن نقول إذن إن مركب الحجار، مثلما توصل إلى ذلك علي الكنز، كان فضاء لتصارع نمطي تمثلات وأشكال واعي. النمط الأول من هذه التمثلات هو إيديولوجية العصرية، حيث أريد لهذه الأيديولوجية التي كان يرفع من أجلها من كانوا يعرفون بالتصنيعيين وعلى رأسهم السيد بلعيد عبد السلام (1928 - 2020) الذي كان وزيرا للطاقة والصناعة (1975 - 1977) في عهد الرئيس الراحل هواري بومدين (1932 - 1978). أما المستوى الثاني من هذه التمثلات فهو يتعلق بالجوانب الاجتماعية الثقافية التي هي نابعة من الواقع الاجتماعي المعاش الذي يمثله أساسا محيط الحجار. فإيديولوجية العصرية التي قام عليها الحجار كانت تسعى إلى عصرية المجتمع بكامله، بداية من المجتمع المحلي أو المحيط القريب من مركب الحجار. الاعتقاد الذي كان سائدا لدى هؤلاء التصنيعيين أن الجوانب التقنية المتعلقة بعمليات الإنتاج جديرة لوحدها بأن تحقق هذه العصرية ! فالرهان، بالنسبة إلى هؤلاء التصنيعيين، هو رهان تقني تكنولوجي يؤدي التحكم فيه إلى دفع عمليات الإنتاج التي ستحقق لا محالة رضى الفئات العمالية وتؤدي إلى الرفع من دافعيته للعمل ! فالمسألة بالنسبة إليهم تتعلق بكيفية تنظيم المسعى الإنتاجي وذلك من خلال تسييره بالكيفية التي تؤدي الى دفع سيولة الحركة الإنتاجية دون عراقيل تقنية بالأساس. يبين لنا تحليل علي الكنز أن المنطق الذي كان يضبط تسيير مسؤولي الحجار لم يغادر الحدود التقنية، وبقي الهاجس التقني التكنولوجي هو المحدد لنظام سير العمليات الإنتاجية. لكن، بدا جليا أن الإشكالية التنظيمية بمركب الحجار لم تكن مقتصرة بتاتا على المستويات التقنية التكنولوجية، لكن، مثلما بين ذلك الباحث، ها هو المستوى الاجتماعي يرمي يكامل ثقله ووزنه على سيرورة العملية الإنتاجية، وهذا ما أبداه الكنز عندما أشار إلى أن " التحكم في العنصر البشري، وتسيير قوة العمل يكونان هنا حاسمين وأكثر تعقيدا من التحكم في المنشآت " (El Kenz Ali, op. cit., p. 270).

ولا يمكن التفكير في الفصل بينهما أو إقامة نوع من الهرم السلمي في درجة الاهتمام بهما وإعطاء الأولوية لواحد (المستوى التقني التكنولوجي) على حساب الآخر (المستوى الاجتماعي الثقافي). ثم أن المفارقة التي نستشفها من تحليل علي الكنز هي حالة التناقض التي أفرزتها إيديولوجية العصرية التي كانت تعول على التصنيع لتحقيق الاستقلال الاقتصادي تجاه الخارج، من جهة، وضمان الرفاهية لفئات واسعة، سيما الفئات العمالية، من خلال ضمان لها مستويات أجور تسمح لها بإعادة إنتاج قوة عملها من دون عقبات، بل الذي حدث أن الصناعة الجزائرية في تلك المرحلة أصبحت صناعة تمتلك كل خصوصيات صناعة تابعة، لا يمكن لها أن تنتج من دون ارتباطها بالخارج في ظل تبعية تكنولوجية مستمرة: "التبعية التكنولوجية تمثل شروط الإنتاج الوطني" (El Kenz Ali, op. cit., p. 637).

وتجلى ذلك أساسا من خلال صيغة معينة في عملية التحويل التكنولوجي وهي صيغة المنتج في اليد، وبحيث لم تعد عملية التحويل التكنولوجي مقتصرة على استيراد المصانع من خلال استيراد مكثف للتجهيزات الإنتاجية، بل ظهر أن النظام التسييري في المؤسسات الجزائرية في تلك المرحلة لم يكن قادرا على مباشرة عمليات الإنتاج، مما استدعى إكمال عملية استيراد المصانع مفتاح في اليد إلى طلب ممن استوردت من عنده هذه المصانع إلى تشغيلها وتسليم للطرف الجزائري المنتج في اليد! وهذا كان يعتبر امرا طبيعيا لدى المشرفين على عملية التصنيع في مرحلة السبعينيات وعلى رأسهم الراحل بلعيد عبد السلام الذي كان يعتبر أن "المنتج في اليد يفترض إذن على من يعود عليه إنجاز المصنع، ويصممه ويبنيه ويأتي بالوسائل الضرورية لذلك، أن يقوم بتكوين العمال، ويبدأ بمسؤوليته بالتموين والإنتاج... فلما نطلب من أي أحد أن يقوم بإنجاز مصنع لصالحنا، لا يكفي ذلك أن يضع لنا مخططات، وأن يكون لنا العمال لأنه لا يمكنني أن أحصل على ضمانته أن هذا المصنع سيسير جيدا إلا إذا حصلت على المنتج النهائي" (Bennoune, Mahoud, El Kenz Ali, 1991, p.161).

فبالنسبة إلى التصنيعيين، الإشكالية هي إشكالية تقنية تحل بمستويات تقنية. فعملية العمل بالنسبة إلى هؤلاء هي مسألة تقنية ولا دخل للجوانب الاجتماعية الثقافية. لكن، مساهمة علي الكنز بينت قصور هذا التناول القائم على العامل التقني واعتباره عاملا ومتغيرا أساسيا في ضمان التنمية الاقتصادية وتحقيق العصرية الاجتماعية، ويظهر ذلك عندما أشار، في عناصر إشكالية بحثه، إلى أن الخاصية الأساسية لتجربة الحجار يمكن تحديدها على أنها "قبل كل شيء حركة واسعة لاستيراد تجهيزات وتقنيات صناعية جديدة تماما إلى الجزائر انطلاقا من بلدان تختلف فيما بينها مثل الاتحاد السوفياتي، إنجلترا، اليابان وبلجيكا" (El Kenz Ali, op.cit., p. 23). هذه الخاصية الأساسية التي قامت عليها تجربة مركب الحجار تدفع إلى طرح التساؤل مع الباحث: "كيف تم هذا التوجه التكنولوجي؟" (Ibid., p. 23).

أي أن الباحث يريد أن يقول هل سارت الأمور على أحسن ما يرام؟ وبالتالي هل تحققت نتائج إيجابية مثلما كان يروج لذلك الخطاب الرسمي، سيما خطاب التصنيعيون المدافعون بشدة عن هذا الإدخال المكثف للتكنولوجيا ومن مناطق جغرافية عديدة من العالم؟ أم أن هذا الواقع اليومي لسير مركب الحجار أفرز واقعا غير ذلك الذي كان مأمولا من طرف الخطاب الرسمي؟ بالفعل، بينت دراسة علي الكنز حول مركب الحجار أن الواقع الفعلي لسير الحجار كان منافيا تماما لأشكال التسيير العقلاني، وتغلبت كثير من مظاهر التسيير اللاعقلاني، بحيث أن الشيء الذي حدث هو أن الممارسات الاجتماعية للفئات العاملة التي التحقت للعمل في ورشات مركب الحجار، وهي ممارسات لم تكن خاضعة إطلاقا لأشكال التنظيم العقلاني التaylorي، هي التي فرضت منطقتها بتمثلاتها الاجتماعية وأشكال وعيها. فالبنى الاجتماعية الثقافية لمحيط الحجار هي التي

فرضت منطقها على نمط تسيير الحجار ولم يتمكن التقنوقراطيون الذين أوكلت لهم مهمة التسيير بمركب الحجار من " جر " الفئات العاملة نحو تبني ممارسات وأشكال تمثلات العمل التaylorي أو الفوردي السائدة عموما في البلدان التي تم استيراد منها تكنولوجيات مركب الحجار . (Ibid., p. 24.)

إن كل هذه الأسئلة التي تضمنت جانبا من إشكالية البحث توصل من خلالها الباحث إلى اظهار " مجتمعين " إن صحت العبارة، أو عالمين اجتماعيين، وهما العالم الاجتماعي الأول وهو موجود خارج أسوار الحجار، والعالم الاجتماعي الثاني وهو موجود داخل الحجار. وإذا كانت الإرادة والنية الحسنة للمشرفين على التصنيع في الجزائر ان تكون المركبات الصناعية - الأقطاب الصناعية، وهي عبارة لدوبرنيس (1928 - 2010) الذي تأثر به التصنيعيون الجزائريون - عوامل جر المجتمع نحو العصرية وتحقيق التنمية، أي أن العوامل التكنولوجية للمركبات الصناعية هي التي " ستخلق " ! واقعا اجتماعيا جديدا في المجتمع بكامله قوامه العصرية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، فإن الشيء الذي أفضت إليه هذه المركبات الصناعية هو وجود بعض المظاهر السلبية التي أصبحت السمة البارزة للمناطق المتواجدة خارج أسوار هذه المركبات الأقطاب، وها هي الملاحظة التي قدمها الباحث فيما يتعلق بهذه النقطة بالذات : " جلب الآلاف من العمال الفارين من الأرياف والعمل الفلاحي وجعلهم بروليتاريين " مقتلعين " مطرودين من النظام الحضري ومحشورين في جحيم الأحياء القصديرية، وهم متأثرون بصفة عميقة بظروفهم الاجتماعية، بالإضافة إلى ملئهم لمصالح الحالة المدنية، ثم خنقها. إن مركب الحجار يذوق على المنطقة شهريا كميات كبيرة من الأموال التي تؤدي، أمام عرض غير كاف، إلى ارتفاع عام للأسعار وإلى السوق السوداء : لقد أصبحت أجور العمال ليست لها اي قيمة حقيقية ". (Ibid., p. 23-24)

ولما كان الأمر كذلك، فلا يجب ان ننتظر من هذا العامل البروليتاري أن يهضم قيم التصنيع ويتبناه، وأن يسعى إلى بناء هوية عمالية متجانسة مع هذه القيم. ففي المجتمعات التي كان فيها التصنيع قيمة نابعة من أنظمة تمثلاتها وأشكال وعيها الاجتماعي فإن هذا العامل لا يعيش حالات تمزق وتذمر مهني وثقافي لأن المحيط الاجتماعي المجاور للمركبات الصناعية يتميز بالتجانس إلى حد بعيد. فعلى سبيل المثال، فإن النموذج الفوردي السائد في المصانع الغربية آنذاك، والذي يقوم على فكرة الإنتاج الجماهيري، سمح للعامل الغربي بإمكانية الاستهلاك وإعادة إنتاج قوة عمله. فلا يوجد عموما شعورا بحالة القطيعة بين لحظة التواجد في داخل أسوار المركب الصناعي وخارجه. فالمعايير الفوردية تحيط بهذا العامل من كل جهة. صحيح، قد يخلق هذا الوضع ما سماه ماركس (1818 - 1883) بالاغتراب، لكن وجد الباحث ان الأمور تختلف لدى العامل البروليتاري في مركب الحجار . هذا العامل الذي لم يجد ضالته في كلا اللحظتين - لحظة الإنتاج ولحظة إعادة إنتاج قوة العمل. لقد بين التحليل السوسيولوجي لواقع سير مركب الحجار من طرف الراحل علي الكنز أن كل من العمال المنفذين والإطارات المسيرة في حالة تذمر وسخط مما هو عليه واقع الحجار ذاته والواقع خارج هذا المركب، ويمكن ان نفسر ذلك بحالة المواجهة بين منطقتين وعقلانيتين اجتماعيين، لأن الحجار لم يستطع أن يخلق وعيا بأهمية رهان الإنتاج وهوية عمالية، مما جعل " الواقع المميز للحجار بعيد إنتاج النسق اللاعقلاني المميز للمحيط الخارجي للحجار الذي لا يدخل في إطار التنظيم العلمي للعمل الذي كان يتعين أن يسير عليه العمل في الحجار، ويتجلى هذا في غياب الممارسات العقلانية في بعض ضروب السلوك العمالية مثل عدم الانضباط، عدم احترام التنظيم التدريجي. والسبب في ذلك أن الأطر المرجعية التي يخضع لها العمال في المركب هي نفسها الأطر المرجعية التي تهيكّل علاقاتهم خارج هذا المركب، أي أن الحجار لم

يستطع أن يخلق وعيا وهوية عماليين، وبالتالي تم نقل كل أشكال الممارسات والوعي الموجودة في محيط الحجار إلى داخله، مما أدى إلى وجود عقلانية من نوع جديد هي في تناقض مع عقلانية النشاط الاقتصادي الرأسمالي الذي يريد المركب أن يتحرك ضمنها" (سبعون سعيد، 1998، ص214)

وكانت نتيجة ذلك ومحصلتها هي حالة "النزاع بين هذين المجالين المرتكزين أو القائمين على قانونين مختلفين للتطور، وهذا ما سيسمح لنا بفهم السلوكيات تجاه العمل لمختلف الفئات الاجتماعية في المركب : عمال، أعوان التحكم والإطارات" (El Kenz Ali, op. cit., p. 27) فالإشكالية تتعلق أساسا بحالة تناقض وتداخل يمكننا القول بين تنظيمين اجتماعيين تواجدا بمركب الحجار. ويتعلق الأمر بتنظيم عقلائي للعمل، وهو التنظيم التaylorي الذي جاء مع التجهيزات مفتاح في اليد مع عملية التحويل التكنولوجي المكثف الذي رأى فيه التصنيعيون على أنه الوصفة التي ستسمح بتحقيق عملية التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي، والتنظيم الاجتماعي الذي جلبه أساسا العمال البروليتاريون القادمين إلى مركب الحجار بأشكال وعي وتمثيلات بعيدة عن عقلانية التنظيم التaylorي بكل مقوماتها - العلاقة بالوقت، احترام التدرج الهرمي والعلاقات المهنية، الخ. فإذا كانت المؤسسات والمصانع التي استورد منها الحجار التكنولوجيا اللازمة لانطلاقه في الإنتاج تستند إلى واقع تنظيمي يتميز بعقلانية التسيير - يريد أن يكون علميا قدر الإمكان - طبعاً هو تنظيم يحمل مزايا وعيوب عديدة - أثبت مستويات عالية من الفعالية في مواضع كثيرة وعديدة، فإن هذه التكنولوجيا المستوردة بما تحمله من عقلانية التسيير التaylorي استقبلها فضاء اجتماعي لم يكن في حالة تناقض وانسجام معها، بل أصبح منافسا ومواز لها، وفرض عليها عقلانية - هي في الواقع لا عقلانية - معارضة تماما للعقلانية التaylorية. فالحجار الذي أراد التصنيعيون من خلاله تغيير الظروف المجتمعية لمحيطه المباشر أولا ثم كامل المجتمع، طبعاً مع المركبات الصناعية الأخرى المنتشرة في فضاءات جغرافية أخرى، لم يتمكن من ذلك، بل، وهذا ما بينه التحليل السوسيولوجي لعلي الكنز، أن محيطه المجتمعي المباشر (منطقة عنابة) هو الذي "تغلب عليه"! وفرض نفسه عليه، بحيث يمكن القول إن هذه الغلبة، إن صحت العبارة، للمجمعي كانت على حساب التقوي التكنولوجي. هذا العامل التكنولوجي الذي رأى فيه التصنيعيون الجزائريون أنه قادر على إنتاج واقع اجتماعي جديد، وغاب عن أذهانهم أن التكنولوجيا والتقنيات والتجهيزات تحمل معايير وقيم وأشكال وعي وأنظمة تفكير اجتماعية، قبل أن تكون تقنية، واعتقدوا أن هذه التكنولوجيا تتميز بالحياد التاريخي : "ويمكن إيعاز حسب الباحث فشل هذه الأيديولوجية للحجار التي ميزت نشأته والتي انتهت (مفارقة أخرى) عند انطلاقته الفعلية (نهاية المرحلة الثانية، بداية الثمانينيات) إلى المنطق الذي أريد "فرضه" على الحجار، وهو منطق أراد جعل المستوى التقني، المستوى المحدد في أول المطاف للتطور والتقدم وبالتالي التغيير بصفة آلية، لذلك أهملت المستويات (الاجتماعية) الأخرى حيث كان يعتقد أن هذه الأخيرة سيتم امتصاصها وإدماجها من طرف الديناميكية التي ستحررها العقلانية الصناعية التقنية، هذه الأخيرة التي ستفرض حتماً في منظور المتبنين لهذه الرؤية) شبكة علاقات جديدة قوامها العصرية والتقدم وتلبية الحاجيات الأساسية للسكان. لكن، الشيء الذي تم التوصل إليه هو إبعاد المستويات الاجتماعية الأخرى وإجلائها دون المستوى الاقتصادي التقوي الضيق، هو وجود واقع أفرزه محيط الحجار يختلف تماما عن الذي كان مرجوا من طرف الخطاب المهيكّل للحجار، ثم عدم قبول هذه الأيديولوجية التقوية وعدم إعطائها أي فرصة للتجذر والتأصل، أي أن المحيط الذي كان يسبح فيه الحجار الذي كان يعتقد أن مهمته الأساسية هي نقل هذا المحيط من حالة اجتماعية محددة تاريخياً (التخلف) إلى حالة اجتماعية أخرى (العصرية والتقدم) لم يقم بتبني هذه الأيديولوجية

التصنيعية، بل دخل معها هذا المحيط في نزاع وصراع، حيث أفتدها شرعيتها وسبب وجودها وأصبح منافسا ومزاحما لها " (سبعون سعيد، 1998، ص225)

فما حدث هو انتقال شبكة العلاقات المجتمعية إلى أسوار الحجار وتم إعادة إنتاج جوانب عديدة من مظاهر الممارسات الاجتماعية وأشكال التمثلات الثقافية والقيمية على حساب قيم التصنيع والتنظيم العلمي للعمل. فإذا كانت المؤسسات والمصانع في الدول الرأسمالية في السابق هي التي تهيكّل الروابط الاجتماعية في المحيط الاجتماعي، بحيث هناك إعادة إنتاج لقيم التنظيم العلمي للعمل في مختلف مستويات المجتمع الأخرى، فإن مركب الحجار لم يتمكن من إنتاج محيط اجتماعي قوامه العقلانية ومسير بقيم التنظيم العلمي للعمل. صحيح أن الحجار كقطب أدى إلى وجود بعض التحولات بمحيطه مثل وجود حاجيات جديدة في المنطقة، حراك مهني وجغرافي معتبر، توسيع رقعة شبكة المواصلات، وأساسا أوجد فئات مهنية واجتماعية سماهما الباحث بـ " الطبقة العمالية الجديدة والطبقة الرأسمالية الجديدة". (El Kenz Ali., p. 231)

ولو أننا نبدي بعض التحفظات حول هذين المفهومين، لاعتقادنا أن شروط وجود طبقات، مهما كانت طبيعتها، في واقع المجتمع الجزائري في مرحلة الثمانينيات، وحتى في الوقت الحالي، ليست متوفرة، مما يجعلنا نفضل مفهوم الفئة. كما يبدو جليا هذا التواجد المجتمعي في مركب الحجار سيما في عملية العمل (Le procès du travail) حيث أظهر تحليل الكنز أنها ليست مقتصرة على الجانب التقني، بل للعامل البشري دوره وأهميته الحاسمين : " إن التحكم في العنصر البشري، وتسيير قوة العمل يكتسبان هنا طابعا حاسما وأكثر تعقد من التحكم في المنشآت " (Ibid., p. 270)

وكيف يمكن التحكم في هذا العنصر البشري وإعطائه كامل الأهمية من دون إقامة قنوات اتصال تقوم على سيولة في تدفق المعلومة التي تزيد من التماس الفئات العمالية نحو أهداف المركب. لقد أظهر تحليل الباحث أن طبيعة العلاقات المهنية التي تستند إليها عملية العمل في جزء كبير في ظل التنظيم المعمول به في هذا المركب تتميز بوجود بعد بين الجهاز المسير الموجود في قمة الهرم التسلسلي عن العمال المنفذين المتواجدين في قاعدة هذا الهرم (Ibid., p. 288).

إن محصلة هذا التباعد هو " جعل العنصر العمالي المنفذ غير مندمج في النسق التنظيمي المتبنى وبالتالي يصبح العنصر الأساسي، المتمثل في العمال المنتجين، لا يندرج ضمن تحقيق أهداف أي تنظيم في المؤسسات الإنتاجية والمتمثلة في إيجاد الطرق والسبل والآليات الكفيلة بضمان إنتاجية أرفع وأوسع بأقل ثمن ممكن، كل هذا يجعل سيولة الحركة الإنتاجية، إن لم تكن معطلة، على الأقل عشوائية " (سبعون سعيد، 1998، ص229).

وحتى محاولات فتح أبواب المشاركة العمالية بالمركب، سواء في الجانب التقني المتعلق بعملية الإنتاج ذاتها، من خلال منح " عمال القاعدة معرفة عن نوعية مجهودهم وقيمتهم... حيث يتم كتابة على لوح كبير وبخط واضح جدا عند باب الدخول، الإنتاج اليومي وتراكمه الشهري، والانحرافات المادية و بالقيمة، مقارنة بما كان مسطرا، وعواقب ذلك على منحة المردودية " (El Kenz Ali., p. 292)

وكذلك إرادة إشراك الفئات العمالية في البعد الاجتماعي السياسي والتي " تتعلق بإشراك العامل تحت صيغ خاصة وفي مستويات محددة في مراكز القرار... " (Ibid., p. 290).

وهذا أساسا عن طريق إجراء التسيير الاشتراكي للمؤسسات الذي استحدث آليات تجسيد هذه المشاركة العمالية في المستوى الاجتماعي السياسي عن طريق المجالس العمالية المنتخبة مثل مجلس عمال المؤسسة (ATE)، ومجلس عمال الوحدة (ATU)، لكن، هذه الصيغ، التقنية منها

والاجتماعية السياسية، لم تحول وعي العمال وضروب سلوكياتهم نحو الوعي المهني الاحترافي وجعلهم يكتسبون قيم العمل المنتج، بل الذي حدث، ليس فقط في مركب الحجار بل في كل المركبات الصناعية الجزائرية، هو ارتفاع حدة المطالب الاجتماعية، والنظر إلى هذه المركبات على أنها فضاءات للحصول على مكاسب اجتماعية، أي أماكن للحصول على أجزاء من الربح، وأن هذه الانتظارات تجاه هذه المركبات الصناعية ستتفاقم وتزداد أمام عجز المحيط الخارجي لهذه المركبات على توفير إمكانية إعادة إنتاج قوة العمل : " إن العامل (خاصة) في الحجار لم يعد قادرا على تجديد وصيانة قوة عمله و عائلته وهذا كان له وقعا سلبيا على سير المركب، مما يدفع بالحجار إلى التكفل بالقضايا الاجتماعية للعمال، هؤلاء الذين أصبحوا يرون في الحجار " الأمل " الوحيد لتحقيق حاجياتهم، خاصة في جانبها الخدماتي، لذا تصبح مهمة الحجار أساسا ليس القيام بوظيفة إنتاجية، بل بوظيفة اجتماعية معوضا بذلك المصالح المختصة في ذلك، إذ نجد أن الحجار أصبح يهتم بحل المشاكل التي يواجهها العمال في حياتهم اليومية : السكن، النقل، شبكة الكهرباء وتوزيع الغاز، توزيع الماء، مراكز طبية، وضع صندوق للتضامن الاجتماعي للمؤسسة، تعاونيات استهلاكية تحاول التكفل بالجمال الاستهلاكي للعمال. .. لأن المحيط القريب لم يكن قادرا على تلبية الحاجيات الضرورية لإعادة إنتاج قوة العمل وصيانتها" (سبعون سعيد، 1998، ص242-243)

مع نموذج التصنيع بالحجار، ومع الايديولوجية التي أرادها له التصنيعيون الجزائريون، وهي قائمة على إرادة - حسنة ومقبولة تماما من الناحية الأخلاقية - عصرنة المجتمع، فإن المجتمع لم يعرف هذه العصرنة التي لم يحققها لا الحجار ولا المركبات الصناعية - الأقطاب - الأخرى، بل سينقل هذا المجتمع العديد من التمثلات و الممارسات الاجتماعية التي لم تعد ترى في العمل المنتج الوسيلة ليس فقط لإعادة إنتاج قوة العمل، بل من أجل تحقيق كامل الطموحات الوجودية الاجتماعية، مما جعل الحجار يتحول إلى " عملاق بأرجل من طين! "

4. خاتمة:

وصلنا إلى خاتمة هذه المساهمة التي تطرقنا فيها، باختصار شديد، إلى بعض الجوانب التي حملتها أطروحة الدكتوراه للراحل علي الكنز. وقلنا بعض الجوانب فقط، نظرا إلى تعدد وتنوع الزوايا التي تعرض من خلالها الراحل للتجربة التصنيعية الجزائرية من خلال النموذج المثالي لأحد الأقطاب الصناعية الجزائرية الذي حمل آمال وخيبات على السواء ! من تحليل علي الكنز لواقع الحجار، نستشف جملة من الدروس السوسيولوجية لعل أهمها هو محاجبته " أن اتقان التكنولوجيا، بعيدا عن كونها مجرد مسألة تقنية، يفترض مسبقا جملة من التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية. كما أوضح لماذا كانت التكنوقراطية الجزائرية بمنتهى الهشاشة في مواجهة المقاومة الاجتماعية والسياسية" (هنري موور كليمنت، 2023، ص113)

لقد بين التحليل السوسيولوجي لمركب الحجار أن التصنيع لا يمكن أن يكون قائما على نقل مكثف للتجهيزات والتكنولوجيات التي يستند إليها، بل هو سيرة تاريخية تتقاطع ضمنها الحتميات والمحددات الاجتماعية الثقافية. فالتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لا يتحققان بمجرد سن قوانين واتخاذ إجراءات إدارية مهما كانت أهدافها إنسانية نبيلة. فالتنمية هي علاقات اجتماعية ثقافية بالأساس وليست مجرد عملية اقتناء لبنيات وهياكل قاعدية مهما بلغت درجة تطورها وتقدمها. وها هو مركز فكر علي الكنز وموقفه من النظرة التنموية التي تجعل من إنشاء المصانع مفتاح التطور الاجتماعي : " إن النظرة التنموية هي شكل خاص بدول العالم الثالث. وهي كيفية تجعل النظر إلى التنمية انطلاقا من الإكثار من المصانع. أنا لا أعارض ذلك، بحيث لا يمكن أن تقوم هناك تنمية كن دون تصنيع، ومن دون قاعدة اقتصادية، لكن يجب أن يتم التصنيع في

سياق مفهوم ويتم التكفل به، ولا يجب أن يكون لنا مركب نقص تجاه المجتمعات الغربية، لأننا نعتقد أنه في المجتمعات الغربية كل شيء منظم، هناك الاقتصاد وكل شيء سيتبع. هذا غير صحيح. هناك الديني، هناك الثقافي، هناك الرمزي، مثلما هو الحال عندنا" (El Kenz, 2023, p. 40.).

يظهر فضل تحليل علي الكنز في الحجار، وفي مواقع ومواضع أخرى، في تبيان أن البعد السسيولوجي، الذي لم يعد يلقي الاهتمام اللازم في الوقت الحالي، هو بعد هيكلي ومحوري في أي مجال أو نشاط اجتماعي مهما كانت طبيعته، لأن البعد السسيولوجي سيعود مهما حاولنا إجلأؤه وإقصاؤه. وأن التكنولوجيا والتطور ما هما في نهاية المطاف إلا مستويات من التمثلات وأشكال الوعي الاجتماعي و ممارسات اجتماعية في الواقع الاجتماعي. فالتقني وثيق الارتباط بالاجتماعي. وألا يغيب عن أذهاننا - وهنا يتعزز فضل علي الكنز في تحليله السسيولوجي لمركب الحجار وما توصلت إليه ملاحظاته الميدانية، بعد مضي أكثر من أربعة عقود و التي عرفت انتصارا لم يسبق له مثيل للتقنية والتكنولوجيا في كل المجالات، وفي كل أنحاء العالم - إن هذا التفوق لا يؤدي حتما إلى تحقيق التقدم والرفاهية للمجتمعات على حساب الأبعاد الإنسانية والاجتماعية. فمؤشرات التقدم، خاصة في مجتمعاتنا، لا تكون بمزيد من الاستيراد للتكنولوجيا مادامت البنيات الاجتماعية والثقافية تدفع إلى مزيد من التهميش والإقصاء. أما الدرس الآخر الذي يمكن أن نستشفه من دراسة علي الكنز لمركب الحجار، فيتعلق بالجانب المنهجي، وإن كان الراحل لم يلح على هذا الجانب في الصفحات التي جاءت بها الأجزاء الثلاثة لرسالة الدكتوراه، حيث يشير إلى هذا الجانب الأستاذ أباهر السقا على النحو الآتي : " لقد أرسى الكنز في دراسته المؤسسة عن مركب الحجار طريقة منهجية ملهمة عن دور الباحث وأهمية التواضع المعرفي، وصقل المعرفة الأكاديمية بالتمثلات المعيشية . إحدى هذه الدروس المنهجية التي يجب أن تدرس للأجيال الجديدة، هي أنه اعتمد عددا قليلا من المبحوثين، أي خمسة أفراد وعاشهم لمدة خمس سنوات، مثلوا الخمسة نماذج مهنية، فارتكزت أطروحة الدكتوراه على مقابلات عميقة، ومعاينات لخمس أشخاص يمثلون لمدة خمس سنوات فحص أثر السياق والتجربة والخبرة المهنية والترانبيات الاقتصادية، والنماذج الإدارية وتمثلات الأعمال، على تبدل علاقة الموظف في بيئة العمل" (أباهر السقا، ص 60).

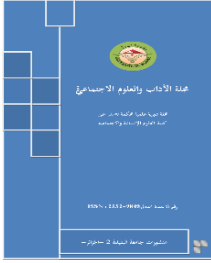
وهذا ما ذكر به علي الكنز في مؤلفه كتابات من المنفى عند استذكاره لتجربة البحث في مركب الحجار حيث أشرنا أعلاه أنه كان يمضي قدما في اكتساب مهنة عالم الاجتماع، مما جعله يطالع بنهم مؤلف بورديو تأملات باسكالية، حيث يشير في هذا الصدد : "... وليس بدافع الصدفة أن ألتهم، عشرات السنين فيما بعد. تأملات باسكالية لبورديو. لقد وجدت في هذا المؤلف ما كنت جريته أنا شخصا في الميدان : الثراء السسيولوجي الكبير " للأشياء الصغيرة"، جزئية في الهيئة، رفع اللهجة، رسم ابتسامه، كل هذا يمكن ان يقدم معلومات قيمة، على غرار الإحصائيات، تقرير اقتصادي أو إشكالية نظرية" (El Kenz Ali, op. cit. , p.60)

أما الدرس الثالث والأخير الذي يمكن ان نستخلصه من تحليل أطروحة الدكتوراه حول مركب الحجار يتمثل في كون أن الكنز بقي وفيا للاتجاه السسيولوجي النقدي الذي غالبا ما ميز الأعمال السسيولوجية الأكاديمية في الجزائر خلال السبعينيات والثمانينيات، وهذا يندرج ضمن التقليد السسيولوجي للمدرسة الفرنسية في علم الاجتماع والذي كان لا يزال له تأثير في الحقل الجامعي السسيولوجي في الجزائر.

هذه، على العموم، بعض الدروس والملاحظات التي يمكن استخلاصها من العودة إلى تحليل الراحل علي الكنز لمركب الحجار، والذي لا يزال يعتبر من بين الأعمال الرائدة في إرساء القواعد المعرفية لتخصص علم الاجتماع العمل والصناعة في حقل علم الاجتماع في الجزائر.

8- قائمة المراجع:

- سبعون سعيد،، السسيولوجيا الأكاديمية والمشروع التنموي في جانبه التصنيعي في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع والديموغرافيا، 1998، ص. 214.
- سبعون سعيد،، السسيولوجيا الأكاديمية والمشروع التنموي في جانبه التصنيعي في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع والديموغرافيا، 1998، ص. 225.
- سبعون سعيد،، السسيولوجيا الأكاديمية والمشروع التنموي في جانبه التصنيعي في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع والديموغرافيا، 1998، ص. 229.
- سبعون سعيد،، السسيولوجيا الأكاديمية والمشروع التنموي في جانبه التصنيعي في الجزائر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، معهد علم الاجتماع والديموغرافيا، 1998، ص. 242-243.
- هنري موور كليمنت، " تكريم علي الكنز : تحدي الحداثة"، ترجمة العياشي عنصر، إلى روح علي الكنز. مسار مفكر مستقل، تحت إشراف عبد الحميد عبيدي، العياشي عنصر، مصطفى ماضي، الجزائر، دار القصبية للنشر، 2023، ص. 113.
- أباهر السقا، " المثقف والأكاديمي. سيرة ومسيرة"، إلى روح علي الكنز، مرجع سبق ذكره، ص. 60.



" Entretien avec Ali El Kenz. Après le lièvre, la tortue", in Algérie Actualité, numéro 1232, semaine du 25 au 31 mai 1989, p. 38-40.

Cf. Chikhi Said, El Kenz Ali, Guerid Djamel, Industrie et société. Le cas de la SNS, Alger, La Société Nationale de Sidérurgie, Administration Générale, 1982.

Cf. El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle. Le complexe sidérurgique d'El Hadjar, thèse d'État, tome 2, Paris VIII, 1983.

Cf. El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle. Le complexe sidérurgique d'El Hadjar, thèse d'État, tome 2, Paris VIII, 1983.

Cf. El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle. Le complexe sidérurgique d'El Hadjar, thèse d'État, tome 3, Paris VIII, 1983.

Bourdieu Pierre, Questions de sociologie, Edition augmentée d'un index, Paris, Les Éditions de Minuit, 1984, p. 20.

El Kenz Ali, Écrits d'exil, Alger, Casbah Editions, 2009, p. 59-60.

Ibid., p. 63-64.

El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle, tome2, op. cit., p. 270

El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle, tome 3, op. cit., p. 637.

Bennoune Mahoud, El Kenz Ali, Le hasard et l'histoire. Entretiens avec Belaid Abdesslem, tome2, Alger, ENAG, 1991, p.161.

El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle, tome 1, op.cit., p. 23.

Entretien avec Ali El Kenz, in En hommage à Ali El Kenz. Parcours d'un intellectuel libre, sous la coordination de Abdelhamid Abidi, Layachi Anser, Mustapha Madi, Alger, Casbah Editions, 2023, p. 40.

El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle, tome 1, op. cit., p. 27.

El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle. Le complexe sidérurgique d'El Hadjar, tome 2, op. cit., p. 231.

Ibid., p. 270

Cf. ibid., p. 288.

El Kenz Ali, Monographie d'une expérience industrielle... tome 2, op.cit., p. 292

El Kenz Ali, Écrits d'exil, op. cit. , p.60.

Ibid., p. 290

Ibid., p. 23.

Ibid., p. 24.

Ibid., p. 23-24.